

التفسير الإباضي للقرآن الكريم ببلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط
Ibadi Interpretations(tafsir)of the Noble Qur'an in the Islamic
Maghreb in the Middle Ages

د. محمد زقاوي¹، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر. ZEGAOUIMOHAMED@GMAIL.COM

تاريخ النشر: 2021/01/28

تاريخ القبول: 2020/12/28

تاريخ الاستلام: 2020/10/03

الملخص:

إن الغرض من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على جهود علماء الإباضية ببلاد المغرب الإسلامي في ميدان التفسير، وإظهار قيمته الثقافية التي ساهموا بها في إثراء الحياة الفكرية ببلاد المغرب، أحاول في هذه الورقة البحثية أولاً: أن أعرف بأعلام تفسير القرآن الكريم الإباضيين (أو أعلام الإباضية في تفسير القرآن الكريم) في المغرب الأوسط، والوقوف على الجهود التي بذلوها في الموضوع من خلال النماذج التالية: تفسير عبد الرحمن بن رستم (ت208هـ/823م)، وتفسير هود بن محكم الهواري (ق3هـ/9م)، وتفسير أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني (ت570م/1174م). وأحاول ثانياً: إبداء بعض الملاحظات حول ضياع التفسير الأول والثالث وبقاء التفسير الثاني. وأحاول في مرحلة ثالثة التعريف بالخصائص العامة لتفسير هود بن محكم الهواري باعتباره متوقفاً، وبخصائص تفسير أبي يعقوب الورجلاني المفقود من خلال كتبه الأخرى التي وصلت إلينا.

كلمات مفتاحية: الإباضية : التفسير : هود بن محكم : عبد الرحمن بن رستم : أبو يعقوب الورجلاني .

Abstract:

The aim of this paper is to shed light on the endeavors of Ibadhi scholars especially in the field of Quranic interpretation in medieval Maghreb. First, I will introduce the Ibadhi scholars who wrote interpretations for the holy Qur'an indicating in the context the lost and preserved manuscripts. I will discuss three oeuvres;

Abderrahman ibn Rustum's interpretation of Holy Quran 823AD.
Hud ibn Muhakkam AlHawari's interpretation of Holy Quran 9th century AD.
Abou Yakob yousef ibn Ibrahim AlWarjalani's interpretation of Holy Quran 1174 AD.

I will then discuss the circumstances involving losing the first and third works and the preservation of the second one by Hud Ibn Muhakkam. Ultimately, I will focus on the general characteristics of Hud Ibn Mhakkam's work and some characteristics of Abou Yakob's work through the excerpts handed down to us through other books.

Keywords: Ibadhi; tafsir(interpretation); Hud Ibn Muhkam; Abderrahman Ibn Rustum; Abou Yakob Al Warjalani .

1. مقدمة:

لم يكن حظّ الإباضية من التصنيف في تفسير كتاب الله العزيز كبيراً. ولسنا نبعد عن الحقيقة إن قلنا: كانت عندهم أقلّ عددا مقارنة ببقية الفرق والمذاهب الإسلامية الأخرى¹، فبالعودة إلى بعض الدراسات التي اعتنت بتاريخ التفسير والمفسرين ببلاد المغرب الإسلامي من أجل استقصاء الأمر، تبين لنا أنّ أصحابها لم يخصصوا من كتبهم في هذا الباب إلا بعض الورقات للتعريف بمصنّفات الإباضية في هذا المجال مع شيء من التحذير منها²، باعتبارهم من أصحاب الرأي المذموم، مع تفاوت بين الدارسين في درجة التحذير، بين مُغالٍ ومعتدل.

إنّ ما يثير الانتباه في أمر تفاسير القرآن الكريم الإباضية ببلاد المغرب الإسلامي هو فقدان جلّها في العصر الوسيط، رغم ما عرف عن رجال الإباضية من ولعهم الشديد بحفظ تراث الأجداد والاعتزاز به، فقد لا نجد في بلاد المغرب كلّها ما نجده عند الإباضيين من مخطوطات، خاصّة في مدن ميزاب بالجزائر³. ومن هنا يمكن أن نطرح السؤال التالي: ما هي أهمّ التفاسير الإباضية التي وصلت إلينا؟ وما هي أهمّ العناوين الأخرى التي لم تصل إلينا؟ وما هي أسباب قلّة تفاسير القرآن الكريم الإباضية بالمقارنة مع غيرها؟ ولماذا فقد بعضها على قلّتها؟

2. الإرهاصات الأولى لتفسير كتاب الله ببلاد المغرب الإسلامي

تشوَّق الناس، أمام انتشار الإسلام مشرقاً ومغرباً، إلى فهم مضامين القرآن الكريم بحكم تلاوته في كلّ صلاة خاصّة في الأقاليم التي لم تكن تتقن اللغة العربية مثل بلاد المغرب. فكانوا أشدّ احتياجاً إلى معرفة معاني القرآن وإظهار مقاصده باعتبار احتمال آياته على الأحكام الفقهية التي تتعلّق بمصالح الناس، ممّا دفع المغاربة إلى الإقبال على مُدارسته وحفظه والتعمّق في فهمه. وكان ذلك عبر مراحل.

1.2 مرحلة التلقّي والفهم:

بدأت بوادر تفسير كتاب الله الأولى مع استقرار بعض الفاتحين ببلاد المغرب. وذلك عند تأسيس الفاتح عقبة ابن نافع الفهري (ت63هـ/683م) حاضرة القيروان، وبنائه المسجد الجامع بها، وجعله هذا الجامع مركزاً لنشر الدعوة الإسلامية. فأقبل البربر عليه يتلقّون فيه أصول الإسلام ثمّ يعودون إلى أوطانهم لنشر ما تعلّموه⁴. وأعقب ذلك جهود حسان بن النعمان (ت86هـ/709م) الذي شرع في تعريب البلاد وكلّف الفقهاء من كبار التابعين بتعليم القرآن وتفقيه الناس في الدين، وأنشأ المساجد في المدن والقرى لهذا الغرض⁵.

من النماذج البربرية التي أقبلت على القرآن حفظاً ومدارسة: عمر بن يمين (ت144هـ/761م) الذي حفظ القرآن وتعلّمه من السابلة في طريق العرب الفاتحين⁶، وواصل موسى بن نصير (ت97هـ/716م) عمل سلفه حين أوصى العرب الفاتحين بأن يتولّوا تعليم القرآن للبربر وتفقيههم في الدين. ثمّ تضاعف هذا المجهود من طرف الخليفة الأمويّ عمر بن عبد العزيز (ت101هـ/719م) حين أرسل إلى إفريقية عشرة فقهاء من التابعين⁷. وختمت هذه المرحلة بوصول دعاة المذاهب والفرق إلى بلاد المغرب. ومن أهمّ هؤلاء داعيا الصفرية والإباضية عكرمة بن عبد الله مولى ابن عبّاس (ت105هـ/723م) وسلمة بن سعد (ت135هـ/752م)، وداعية الشيعة عيسى بن محمّد، وداعية المعتزلة عبد الله بن الحارث⁸.

2.2 الرحلة إلى المشرق للتوسّع والاستزادة

ازداد طموح المغاربة في التعمّق في فهم الإسلام عن طريق الرحلة إلى المشرق لأداء فريضة الحجّ ولقاء العلماء والأخذ منهم⁹. وقد تزامن ذلك مع بروز الملاحم الكبرى للمذاهب الفقهية والمدارس الكلامية ببلاد المشرق. إذ سعى كلّ اتجاه فكريّ إلى نشر أفكاره وتصوّراته الفقهية والعقدية. وبذل كلّ تيار فكريّ جهوداً معتبرة لتكوين قاعدة اجتماعية كبيرة لتوسيع دائرة تأثيره على حساب الاتجاهات الأخرى، تكون له سنداً في تحقيق أماله. وذلك من خلال عدّة وسائل أهمّها بثّ الدعاة واستقبال طلبة العلم. فالتقوا بأئمة المذاهب في المدن الكبرى بالشرق الإسلامي. ومن أشهر

هؤلاء المغاربة من الإباضية: محمد بن عبد الحميد بن مغيطر الجناوني (كان حيًا بعد 160هـ/776م) وحملة العلم الخمس¹، ومن غيرهم عبد الرحمان بن زياد بن أنعم (ت161هـ/694م)، وعبد الله بن فروخ (ت789/172) وعلي بن زياد (ت799/183م) والهلول بن راشد (799/183م) وابن غانم (ت190م/805هـ).

3.2 التدوين والتأليف.

تطوّر طموح المغاربة في فهم حقائق الدين وأسراره والتعمق أكثر في مسائله. ولم يعد الإيمان بالدين الإسلامي بسيطاً. بل أصبح يقوم على بناء الحجج وترسيخ القناعات، وخصوصاً بعد رواج أفكار الفرق والمذاهب وحصول بعضها على موضع قدم في بلاد المغرب مثل الإباضية والصفريّة والشيعة الزيدية². وقد عمل أتباع هذه المذاهب على نشر الثقافة الإسلامية بين الشرائح المتعاطفة معهم³. فإذا علمنا أنّ أرض المغرب الإسلامي، خاصة، كانت ملجأً للفارين من أصحاب النخل وملاداً مفضلاً للهاربين من الصراعات السياسية والفتن العقدية، لبعدها الجغرافي عن بلاد المشرق، خاصة أنّ أغلب هؤلاء الفارين والمعارضين كانوا دعاة سياسيين ومن أصحاب الدراية والعلم.

خاض هؤلاء في التفسير والتأويل في حلقات دروسهم. وكانوا يعكسون اتجاهاتهم المذهبية كلّ على طريقته. وما إن استهلّ القرن الثالث الهجري على بلاد المغرب حتّى ظهرت أولى المؤلفات التي تهتمّ بشأن العقيدة والتفسير. والمثال في ذلك تفسير عبد الرحمن بن رستم (ت171هـ/788م) (سيأتي التعريف به لاحقاً)، ثمّ تفسير يحيى بن سلام البصري القيرواني (ت200هـ/815م)⁴، وتفسير سليمان بن حفص الفراء (ت269هـ/882م)⁵ في كتاب معاني القرآن وكتاب حدود المعرفة في تفسير القرآن للقاضي النعمان⁶ (ت363هـ/973م).

3. أسباب قلّة التفاسير عند الإباضية:

1.3 الشروط الصارمة والتخوّف من التفسير.

وضع علماء الإباضية شروطاً صارمة جداً لمن يقدم على تفسير كتاب الله. وقد بلغ بهم تعظيم هذا الباب (التفسير) إلى حدّ التكفير⁷ حذراً من التقلّو على الله بغير علم، خاصة فيما تعلّق بالمسائل العقدية مثل مسألة الصفات وغيرها. فإذا كان باب التأويل غير مفتوح على مصراعيه إلّا إذا انسدّ باب الأخذ بظاهر النصوص، فإنّ التأويل يكون ضرورياً لتفادي التشبيه والتجسيم. وذلك وفق قاعدة: المتأولون المخطئون في المسائل العقدية مشرّكون.

وإن كان لا بدّ من الاقدام على هذه الخطوة فالأمر يقتضي الكفاءة المتأنيّة من أسباب ذاتيّة وموضوعيّة. أمّا الأسباب الذاتية فكون المتأول سليم الذهن ثاقب النظر مدركاً للعواقب، وأمّا الأسباب الموضوعيّة فمثالها كثرة السماع ومدارسة أهل النصائح من العلماء، حتّى يكون المتأول على دراية عميقة بمصادر التشريع ومختلف العلوم المرتبطة بالتفسير مثل اللغة⁸، وما تحمله من ثراء في دلالتها سواء منها النحويّة أو الصرفيّة أو البلاغيّة، ومثل المجاز الذي يقتضي التحوّل الدلالي في المعنى حسب السياق⁹، فضلاً عن عدم المصادمة مع ما هو ثابت ومحكم في كتاب الله، وحتّى يكون متمكّناً من أساليب الاستدلال النقليّ والعقليّ. أمّا التأويل الباطنيّ على طريقة الشيعة، والتفسير الحرّفيّ الذي يوهّم بالتشبيه في حقّ الله فمرفوضان جملة وتفصيلاً.

ولمّا كانت هذه الصفات قلّما تتوفّر في المتأول اشتهر عند الإباضية تهيبهم من التفسير توزّعاً واحتياطاً خشية القول في كتاب الله بغير علم¹⁰. وأمام افتقار المكتبة الإباضية لكتب التفسير التي يرجع إليها طلبة العلم ويعولون عليها في هذا المجال، فُتح باب الاستعانة بكتب التفسير المخالفة للمذهب. ومعلوم أنّ الخلاف بين الإباضية وغيرها من المذاهب، خاصة في مسائل التأويل، قد يؤدّي إلى زعزعة العقيدة الإباضية في نفوس أتباع المذهب خاصة من العامة منهم.

وقد كان صنف بعض علمائهم كتباً تتعلّق بعلوم قريبة من التفسير والتأويل، مثل علم أصول الدين أو علم الكلام. وتحتوي هذه التصانيف على اجتهادات مهمّة في فهم آيات القرآن. والمثال في ذلك كتاب الموجز للشيخ أبي عمّار عبد الكافي (ت570هـ/1174م). وكتاب التحف المخزونة لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاني (ت471هـ/1079م) وكتاب أصول الدين لتبغورين بن عيسى المدشوطي (القرن 6هـ) وكتاب تبين أفعال العباد لأبي العباس أحمد بن محمّد (ت504هـ/1111م). لكنّ هذه المصنّفات تبقى غير صريحة في التفسير. ذلك أنّ أصحابها لم يقصدوا التفسير لذاته.

فرض هذا الوضع في وقت متأخّر إقامة البديل. فأقدم أحد علماء الإباضية¹¹ على ذلك بدءاً من سورة الناس، ولما وصل إلى الآية [وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47)] [سورة الحاقة] تنبّه إلى عظمة ما يقوم به وخاف على نفسه الجرأة على كلام الله فتوقّف عن ذلك. وهو موقف مثبّت للعزائم وإن كان الغرض نزيهاً. كيف لا وهو المقدّم على أهل زمانه. وقد كسر الشيخان أمحمد بن يوسف اطفيش (ت1332هـ/1914م) وإبراهيم بيّوض (ت1401هـ/1981م) من علماء الجزائر الإباضيين المعاصرين هذا الحاجز، الأوّل بكتابه هيمان الزاد إلى دار المعاد وتيسير التفسير والثاني بكتابه "في رحاب القرآن"¹².

لم يكن تهيب التفسير متعلّقاً بالإباضية وحدهم. فقد وردت عدّة أخبار عن السلف تحدّر من التعرّض للتفسير خاصّة في ما لا دليل عليه من النقل ولا رواية عندهم بشأنه¹³. فبالعودة إلى كتب التفسير المشهورة مثل تفسير محمّد بن جرير الطبري (ت310هـ/923م) وعماد الدين إسماعيل بن كثير (ت774هـ/1374م) وغيرهما نجد هذه الكتب قد ذُيّلت بمقدّمات تشرح شروط التفسير والصفات الواجبة في المفسّر، وتشير إلى الرويات التي تفيد تحجّج أئمّة السلف من التأليف فيه تورّعا وتقوى. إلّا أنّ الأمر عند الإباضية كان مبالغاً فيه فانعكس ذلك على كمّ إنتاجهم الفكريّ في ما يتعلّق بهذا الباب.

2.3 الاضطرابات السياسيّة والحروب العسكريّة:

إنّ فترات الاستقرار والسلام بالنسبة إلى جموع الإباضية ببلاد المغرب الإسلامي - على قلّتها - خاصّة بعد سقوط الدولة الرستميّة ليست سوى استعداد لثورة أو حملة عسكريّة جديدة. فقد ذكر ابن عذاري في البيان المغرب¹⁴ ما يفوق تسع حملات عسكريّة ضدّ الإباضية بين إخماد ثورة أو حملات توسّعيّة، ما بين سقوط تمهّرت إلى غاية منتصف القرن الرابع الهجريّ.

وإن كان ضياع بعض كتب التفسير الإباضية مبرّرا بفعل الإتلاف المتعمّد كالحرق والتدمير الذي لحق بعض المكتبات جرّاء تدمير مدنها وحصونها عبر التاريخ، مثل مكتبة المعصومة بتمهّرت¹⁵، وحملة المعزّ بن باديس الصنهاجي (ت401-454هـ/1016-1062م) على جربة سنة (431هـ/1039م)، ثمّ تخريب قلعة درجين سنة (440هـ/1048م) بالجنوب التونسيّ¹⁷. يلي ذلك دخول القبائل الهلاليّة من الشرق وما أحدثته من اضطراب في البنية البشريّة والاجتماعيّة والثقافيّة. وقد كان من نتائجها اختفاء المذهب الإباضيّ من بلاد الجريد ونزوح عدد من الجماعات الإباضية إلى مناطق ورجلان¹⁸. ولم تسلم هذه ورجلان هي الأخرى ممّا لحقها من الدمار والتخريب سنة (626هـ/1229م) من طرف بني غانية في عصر الموحّدين¹⁹.

أدّت هذه الاضطرابات العسكريّة إلى تراجع المذهب الإباضيّ وتحول الكثير من الأتباع عنه إلى المذهب المالكيّ. وهي حالة كثيراً ما يشتكي منها شيوخ الإباضية من ضعف في الهمة وغياب النخوة المذهبيّة. وكان هذا مدعاة لتراجع التأليف في المذهب²⁰. ومال من بقي على مذهبه بعد هذه السلسلة من الهزائم العسكريّة المتتالية إلى الانعزال والانطواء والتفرّق بين أقاليم منعزلة ومغلقة ذات مناخ وتضاريس صعبة مثل ورجلان بالجزائر وجبل نفوسة بليبيا

وجزيرة جربة بتونس. وقد أدى ذلك إلى انحسار تراثهم الثقافي في هذه الأقاليم. ودفع بهم هذا الاضطهاد إلى ستر ما بقي من مؤلفاتهم وحجبها عن عيون المخالفين بغية المحافظة على روح المذهب.

وتأكيدا لما سبق أورد البرادي (ق8ه/14م) في كتابه **الجواهر المنتقاة** شهادة حيّة أثناء حديثه عن قيمة وأهمية كتاب التفسير لأبي يعقوب يوسف الوردجاني، وهو يتفقّد جموع الإباضية وحال الطلبة، عن الحالة التي وصل إليها أتباع المذهب من قلّة حماسهم للمذهب وابتعادهم عن تعاليمه. وقد وجّه لومه لهم. فكيف لهم أن يفرطوا في كتاب يمثل هذه الأهمية بسبب غفلتهم وعدم اكتراثهم²¹، حتّى إنّ هناك من الطلبة من لا يعلم بوجوده أصلا.

3.3 الفتن الداخلية:

عرف تاريخ الإباضية ببلاد المغرب موجة من الفتن، كان لها أثرها في انقسامها إلى مجموعة من الاتجاهات. وقد سمّاها أبو زكريا يحيى الوردجاني (471ه/1078م): الافتراقات الإباضية. وقد أحصاها في خمسة افتراقات، وصلت حدّ تحامل بعضها على بعض، إلى درجة التكفير²². وقد كانت هذه الافتراقات عاملا من عوامل سقوط الدولة الرستمية الإباضية وضعف المذهب وتراجعها ببلاد المغرب الإسلامي.

وكثيرا ما كانت الصراعات الفكرية بينها تتجاوز حدود الحجّة والبرهان إلى العنف اللفظي والجسدي. ومن ذلك ما كان بين رجل نكاري وآخر وهبيّ تناظرا فأفضى النقاش إلى عراك جسدي. واستنجد كلّ منهما بعصبته. فغضبت كلّ جماعة لما أصاب صاحبهم. فكان بينهم لقاء. فاقتتلوا قتالا شديدا²³. وكاد أن يذهب شيخ الإباضية في زمانه أبو نوح سعيد بن زنگيل (ق4ه/10م) الذي كان بين الفرق الإباضية الوهبيّة والنكار، ضحية هذا الصراع.

وقبل ذلك نجا شيخه أبو القاسم يزيد بن مخلّد (ت358ه/968م) من محاولة اغتيال من طرف رجل نكاري أظهر الرجوع إلى مذهب الوهبيّة، حتّى يتمكّن من الاقتراب من الشيخ لأجل اغتياله. ولم ينجح²⁴ في ذلك.

فرغم المساعي الحثيثة من طرف شيوخ الإباضية لاسترجاع أمجاد الدعوة، فإنهم لم يوقّقوا في ذلك. إذ يبدو أنّ التيه السياسي والاجتماعي بلغ مداه بفعل هذه الفتن ووصل حدّ اليأس التام. هذا الذي جعل الشيخ أبا نوح يدّعي المرض بقنطرار لما رأى من شدّة الاختلاف بين أصحابه وأهل دعوته. فانهارت قواه. واعتزل أمرهم. ولزم فراشه. وندم ندما شديدا على فراق وردجان²⁵. حتّى أنّه أجاب عائده أبا يعقوب يوسف بن نفاث (ت440ه/1049م): "ما بي مرض. وكيف لا أمرض بقلبي"²⁶. واضح من كلام أبي نوح ما يعتريه من حسرة على حال الفرقة بين جموع الإباضية. وقد انعكس ذلك سلبا على الإنتاج الثقافي في هذه الفترة على الأقل.

وليس ببعيد أن يكون الصراع المذهبيّ واجهة لهذه الفتن، وهو المرادف للاندفاع في إصدار الأحكام والوقوف تحت رهينة الأحكام المسبقة، من الأسباب الرئيسية في ضياع بعض المؤلفات من خلال التعقيم والتغيب المتعمّد أو التحذير منها صراحة. ولئن وصل خبر بعضها إلينا فذلك من باب الاقتضاب المخلّ بالتفاصيل. وقد أشرنا إلى ذلك في ما تقدّم من هذا البحث.

4. التفاسير الإباضية للقرآن الكريم.

1.4 تفسير عبد الرحمن بن رستم الفارسي²⁷ (ت171ه/788م):

تذكر المصادر التاريخية الإباضية كالدرجيني والشمخي أنّ أوّل تفسير لكتاب الله كان لعبد الرحمن بن رستم مؤسس دولة بني رستم بالمغرب الأوسط (حكم ما بين: 160-171ه/777-788م) قال عنه البرادي "وكتاب الإمام عبد الرحمن في تفسير القرآن يذكرونه ولم يُرَ²⁸ نتأسف لعدم وصول هذا التفسير إلينا، شأنه في ذلك شأن الكثير من الكتب الإباضية المصدريّة التي كانت تملأ مكتبة المعصومة بتهرت. وكما هو معروف بعد دخول أبي عبد الله الشيعي (ت298ه/911م) تهتت سنة (296ه/909م) الذي اقتنى منها ما ينفعه من الكتب أنّه أمر بإحراق البقية التي تتعلّق بالمذهب الإباضي²⁹.

ولا تذكر بقية المصادر الأخرى خاصة المالكية منها هذا التفسير وتكتفي بالإشارة إلى تفسير يحيى بن سلام رغم الأسبقية الزمنية لتفسير عبد الرحمن بن رستم، حتى يحظى المالكية وحدهم بهذا الشرف، وحتى لا يسجل التاريخ أي فضل للإباضية وتقزيم دورها في الحياة الفكرية ببلاد المغرب³⁰، وهي للأسف صورة من صور التعصب المذهبي تتكرر في العديد من الأحداث عبر تاريخ المغرب الإسلامي.

وأخراً ورد في المصادر الإباضية عن تفسير عبد الرحمن بن رستم أنه كان زمن الحمّادين بالقلعة، حين علم أبو عبد الله محمد اللواتي (ت528هـ/1133م)³¹، وهو من أصحاب دعوته، أن نسخة من هذا التفسير نودي عليها بالبيع في سوق القلعة، فسافر لأجلها مستترا في زي التجار بحثا عن كتاب عبد الرحمن بن رستم في التفسير. يقول الدرجيني: "فجعل يسأل عن الكتاب في خفاء برفق وسياسة"³²، ولكنه لم يظفر بها. وأُخبر بأنها بيعت.

وأخر أخبار هذا التفسير هو ظهور بعض ورقائه حسب تصريح الدكتور مسعود مزهودي³³ بفعل ما بذله القائمون على المكتبات الإباضية بميزاب من إعادة تنظيمها وفهرستها. ويحتمل أن ما بقي من هذا التفسير هو تلك الورقات لا غير. والله أعلم.

2.4 تفسير هود بن مُحَكَّم الهواري³⁴:

يعتبر هذا التفسير من أوائل التفاسير التي شملت القرآن كله، ببلاد المغرب الإسلامي. قال عنه البرادي "ومن تأليف أصحابنا أهل المغرب التفسير الذي هو لهود بن محكم الهواري في سفرين كبيرين"³⁵. ووصفه الشماخي "بالعالم المتفتن الغائص وهو صاحب التفسير المعروف، وهو كتاب جليل في تفسير كتاب الله لم يتعرض فيه للنحو والإعراب، بل على طريقة المتقدمين"³⁶، أي الاكتفاء بشرح الآيات بطريقة الآثار المروية عن الصحابة والتابعين. والتفسير في أصله اختصار لتفسير يحيى بن سلام³⁷ القيرواني (ت200هـ/815م).

إن السؤال الذي يطرح هنا كيف للشيخ هود بن مُحَكَّم أن يقدم على اختصار تفسير يحيى بن سلام رغم الاختلاف المذهبي؟ وكان الأولى به أن يختصر تفسير الإمام عبد الرحمن بن رستم أو تفسير ابنه عبد الوهاب، لاشتراكهما في المذهب. لا نملك إجابة وافية على ذلك لفقدان كل من التفسيرين. إلا أنه يمكن أن نرجح بعض الحلول للمسألة وإن كنا لا نملك أي دليل على ذلك. فيحتمل أن تفسير عبد الرحمن بن رستم لم يكن كاملاً، فلم يشمل جميع سور القرآن أو أنه كان مختصراً، أو أنه لم يطلع عليه أصلاً.

إن الرأي الأخير ضعيف الاحتمال. فليس ببعيد حسب محقق الكتاب بالحاج بن سعيد شريفي أن يكون هود ابن محكم الهواري قد اطلع على تفسير عبد الرحمن بن رستم³⁸، واستفاد منه واعتمده في تنقيح تفسير يحيى بن سلام حتى ينسجم مع العقيدة الإباضية. إن صلته بهذا التفسير قد تكون من رحلته العلمية إلى تيمرت أو جبل نفوسة باعتبارهما من أهم المراكز الثقافية الإباضية³⁹ قصد الاستزادة من العلم والتخصص فيه.

أما شأنه مع تفسير يحيى بن سلام، فمن المرجح أن يكون هود بن محكم هاجر إلى القيروان للاستزادة من العلم واكتساب فنون اللغة العربية وإتقانها على عادة علماء الإباضية⁴⁰. والقيروان إذاك أهم عاصمة علمية ثقافية ببلاد المغرب الإسلامي، باعتبار بيئة نشأته الأولى -جبل الأوراس- الأمازيغية حيث كان انتشار اللغة العربية فيها محدوداً جداً خاصة في القرون الهجرية الأولى.

والتساؤل الجدير بالطرح هو: كيف لتفسير بهذه القيمة أن يظل أكثر من أحد عشر قرناً منسياً؟⁴¹ فلا يشار إليه. ولا تقام عليه شروح وحواش⁴² أو اختصارات. والحال أن المدة الزمنية طويلة جداً. وقد عرف علماء الإباضية بذلك -خاصة بعد مرحلة النضج والذروة من حيث غزارة الإنتاج الفكري وجودته⁴³، (بداية من منتصف القرن الخامس إلى القرن السابع هجري)، إذ لا نجد ذكراً لتفسير هود بن محكم في قائمة الشروح والاختصارات.

هذا ويمكن تصنيف تفسير الشيخ هود بن محكم الهواري ضمن اتجاه التفسير العقدي⁴⁴ حسب الباحث حسن مسعود الطوير في كتابه جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني. فبعد أن عدّ اتجاهات التفسير ببلاد المغرب في أربعة اتجاهات رئيسة هي: التفسير العقدي، والتفسير الفقهي واللغوي والبياني. رغم أن تفسيره هو اختصار لتفسير يحيى بن سلام البصري القيرواني الذي لا يصنّف في هذا الاتجاه.

فما الباعث إذن على هذا الاتجاه في التفسير عند الشيخ هود بن محكم الهواري؟ قدّم الباحث حسن مسعود الطوير إجابة على هذا السؤال في ثنايا الحديث عن أهميّة التفسير العقدي حين يعود هود بن مُحَكَّم الى آيات القرآن الكريم ليستدلّ بها على آراء الإباضية في المسائل العقديّة⁴⁵ وفي الردّ على الملل المخالفة للإسلام ودفع شبهة التعارض بين آيات القرآن الكريم.

والنظر إلى المسألة من زاوية تاريخية يؤكّد أسباب هذا الاتجاه في التفسير. هي حدّة الصراع المذهبي بين مختلف الفرق والمذاهب المشكلة للخريطة المذهبية ببلاد المغرب، خاصّة أنّ الإباضية عُدتّ عند البعض من الفرق المبتدعة.

فقد ذكرت كتب التراجم المالكية كالقاضي عياض في ترتيب المدارك أنّ سحنون بن سعيد (240هـ/854م)⁴⁶ إمام المالكية بالقيروان في زمانه لما ولي القضاء للأغالبة بين (234-240هـ/848-858م) عزل أصحاب الفرق عن الناس، وفرّق حلّقتهم التي كانت تقام بالجامع تتذاكر أفكارها وطردتهم منه. وكان من جملة هؤلاء الإباضية⁴⁷. وتواصل ذلك إلى نهاية العهد الأغلبي. وكان هذا الموقف قدوة لمن جاء بعده من المالكية.

ومن صور ذلك الصراع ما كان من رسالة الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح (ت281هـ/894م)⁴⁸ في مسألة خلق القرآن كردّ فعل على القاضي سحنون بن سعيد المالكي بالقيروان الذي كان ينكر على من يقول بخلق القرآن⁴⁹. فينكر (أي محمد بن أفلح) على المالكية ذلك. ويعتبرهم ضالّين يلبسون على العامة الحقّ ويحجبونه عنهم⁵⁰. ثم كانت الرسالة مرجع جميع علماء الكلام الإباضية بالمغرب الإسلامي في التأصيل للمسألة والردّ على المخالفين.

حظي تفسير هود بن مُحَكَّم بالعديد من الدراسات الأكاديمية. وأهمّها دراسة تحقيقيّة اشتغل فيها بالحاج بن سعيد شريفي، على الكتاب كلّّه وخزّجه في أربعة أجزاء، طبع الكتاب طبعة دار الغرب الإسلامي، وهو تحقيق متقن نال السبق في إخراج الكتاب ونشره بين الناس، ويكفيه أنّه أوّل من اكتشف أنّ تفسير هود بن محكم الهواري هو اختصار لتفسير يحيى بن سلام. وقد كان ذلك مجهولاً لعدّة قرون حتّى عند رجال الإباضية. إذ لا يمكن لمشتغل بالتفسير الإباضي أن يهمله، وتكاد كلّ الدراسات الأكاديمية المعاصرة تعتبره مرجعها الأوّل.

منهج هود بن مُحَكَّم في التفسير:

استهلّ هود بن مُحَكَّم مقدّمة تفسيره بالحديث عن معلومات عامّة حول كتاب الله. فأشّر على أوّل آية نزلت من القرآن وآخر ما نزل منه، وأحرف القرآن وجمعه وتدوينه والمكي والمدني، والتحذير من الإقدام على تفسير آياته بغير علم، ثمّ الشروط العلميّة الواجب توقّرها في المقدم على التفسير، قال: "وإنّه لا يعرف تفسير القرآن إلّا من عرف اثنتي عشرة خصلة: المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والتقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والخاصّ والعامّ، والإضمار والعريّة"⁵¹، وعن أشهر المفسّرين من الصحابة والتابعين ثمّ يشرع مباشرة في التفسير ابتداء من سورة الفاتحة. وذلك حسب ترتيب السور تنازلياً إلى سورة الناس. ويمكن أن نحصر ما تميّز به تفسيره فيما يلي:

- يحذف كلّ الروايات التي لا تصحّ عنده ولا توافق مذهبه⁵² تماشياً مع مذهبه الإباضي، ويروي بدلاً عنها روايات شيوخ الإباضية، مثل روايات الإمام جابر بن زيد (ت93هـ/711م)، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت145هـ/762م). خاصّة ما تعلّق بالمسائل الفقهيّة والعقديّة. فيعيد النظر في تفسير يحيى بن سلام لبعض آيات القرآن ويفسّرها بما يتناسب مع معتقدات مذهبه الإباضي وآرائه⁵³. وإن كان هذا الحكم ليس عامّاً فقد تستدعي

بعض الآيات، وفق منهجه، هذا الوقوف عندها مثل مسألة الإمامة⁵⁴. إلا أنه لم يقف عندها ويبدى موقف الإباضية منها.

- أحياناً يذكر أغلب سلسلة الإسناد وأحياناً أخرى يختصرها ولا يذكر من السلسلة إلا الصحابي راوي الحديث، أو التابعي. وفي مواضع أخرى لا يذكر من الإسناد سوى كلمة ذكروا. وفي غالب الأحيان⁵⁵ يختصر سلسلة الإسناد ويحذفها ويكتفي بذكر الصحابي راوي الحديث فقط.

- لم يتعرض في تفسيره للشروحات اللغوية وما يتعلّق بها من النحو والإعراب⁵⁶ والبلاغة والصرف، وهو ما يزيد في فهم آيات القرآن، فربّما لم يرد هود بن محكم إثقال المتن بهذه الشروحات. وإنّما اكتفى بشروحات لغوية موجزة بسيطة. وهو نفس الغرض الذي لأجله كان يحذف سلسلة الإسناد. خاصة وأنّ الكتاب موجّه لطلبة العلم ولعمامة الناس في فترة لا يزال فيه اللسان البربري سائداً في بيئته جبل الأوراس.

- يذكر وجوه القراءة أحياناً ومع أسباب النزول. ويتعرض إلى وجوه التفسير عند من سبقه مثل ابن العباس وعكرمة والحسن البصري والكلبي ومجاهد ويقابل بينها مع الترجيح.

3.4 تفسير أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني⁵⁷:

قال البرادي في شأن تفسير أبي يعقوب الورجلاني: "كتاب عجب رأيت منه في بلاد أربغ سفراً كبيراً لم أر ولا رأيت قطّ سفراً أضخم منه ولا أكبر منه، وحزرت أن يتجاوز سبعمائة ورقة أو أقلّ أو أكثر. فيه تفسير الفاتحة والبقرة وآل عمران، وحذرت أنّه فسر القرآن في ثمانية أسفار مثله"⁵⁸.

بعدّ ما جاء في كتاب البرادي **الجواهر المنتقاة** آخر أخبار هذا التفسير في المصادر الإباضية الوسيطة إذا استثنينا ما جاء في كتاب السير للشماخي (928هـ/1522م)⁵⁹، باعتبار أنّ هذا الأخير نقل أخبار أبي يعقوب الورجلاني عن كتاب طبقات المشائخ للدرجيني (670هـ/1271م)⁶⁰ ولم يذكر أنّه عاين هذا التفسير أو اطّلع عليه، وهو ما يرجّح أنّ ما بقي من أجزاء هذا التفسير قد ضاع في هذه الفترة.

وقد أشار الشيخ إبراهيم أطفيش الجزائري إلى ضياع هذا التفسير في "الحروب الداخلية التي مُنيت بها الأمة الإسلامية"⁶¹، ولعلّه يشير بذلك إلى التدمير الذي لحق ورجلان من طرف بني غانية في عصر الموحّدين بعد وفاة الشيخ أبي يعقوب الورجلاني. أمّا ما تبقّى من أجزاء التفسير الذي حدّثنا عنه البرادي (سفر واحد من مجموع ثمانية أسفار) وعائنه بنفسه فيحتمل أنّه ضاع بسبب الغفلة والإهمال⁶² ناهيك عن عوامل الطبيعة.

وإن كنّا لا نعلم شيئاً عن محتوى تفسيره، بسبب ضياع كتابه هذا إلا أنّ الكثير من اجتهاداته في التفسير والتأويل قد وصلت إلينا من خلال كتبه الأخرى في علم أصول الدين وأصول الفقه وعلم الكلام. ومنها كتاب **الدليل لأهل العقول لباغي السبيل بنور الدليل لتحقيق الحقّ بالبرهان والصدق** في ثلاثة أجزاء المعروف اختصاراً بكتاب **الدليل والبرهان** يتضمّن الكتاب أهمّ المسائل العقديّة وموقف الإباضية منها كمسألة الصفات، وخلق القرآن، ورؤية الله في الآخرة، ومسألة الولاية والبراءة والوقوف والشفاعة ومسألة الجبر والاختيار. كما يناقش فيه مختلف الفرق الأخرى كالمعتزلة والأشاعرة بأسلوب حوارّي يمزج في إثباتاته بين النصّ الشرعيّ والحجج العقلية.

وكتاب **العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف** وهو كتاب في أصول الفقه كما يتّضح من العنوان إلا أنّه يحتوي على بعض الآراء العقديّة التي تتطلّب الاستشهاد بالقرآن. ويمكن كذلك معرفة بعض اجتهاداته في فهم آيات القرآن وتفسيره من خلال عمله على ترتيب مسند الربيع بن حبيب (ت170هـ/786م) خاصة في جزئه الثالث الذي خصّص جلّ محتوياته لمسائل العقيدة⁶³.

منهجه في التفسير:

يحدثنا أبو يعقوب الوردجاني قبل الخوض في تفسير كتاب الله على الصفات الواجب توفرها في المجتهد في كتابه الدليل والبرهان:

- حفظ كتاب الله وتلاوته.
 - أن يكون ملماً بقواعد اللغة من نحو وصرف وإعراب.
 - أن يكون على دراية بوجوه القراءات وأنواعها.
 - أن يكون على دراية مسبقة باجتهادات المفسرين الذين سبقوه خاصة منهم من شهدت لهم الأمة بذلك.
 - أن يكون فقيها عارفا بأحكام الشريعة وعلى دراية بالأحكام العامة والخاصة والشاذ منها.
 - أن يحصل مقاليد أقفال الكتاب⁶⁴ ومن لم يحصلها فهو بعيد عن فهم معاني القرآن.
- قال أبو يعقوب في شأن هذه الصفات: "فمن لم يكن له هذه الصفات فلا يوثق بشيء من علمه، ولا يعلم من تعلم منه، وإنما مغرور أو مقلد"⁶⁵.

أما عن أسلوبه في التفسير فقد أورد البرادي بصورة مختصرة دقيقة عما عاينه بنفسه واطّلع عليه من تفسير سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران قال البرادي "فلم أر ولا رأيت أبلغ منه ولا أشقى للصدور في لغة أو إعراب أو حكم مبين أو قراءة ظاهرة أو شاذة، أو ناسخ أو منسوخ أو في جميع العلوم"⁶⁶. فأول ما يقوم به يذكر الآية ثم إعرابها ويتوسّع في ذلك إلى البلاغة والصرف، ثم ما يسند الآية من الأحاديث النبوية مرجعه في ذلك مسند الربيع بن حبيب (ت170هـ/786م) (مرجع الحديث النبوي عند الإباضية) ثم يذكر اجتهادات المخالفين فيردّ عليهم بما يوافق عقائد الإباضية⁶⁷.

يمكن القول، انطلاقاً ممّا سبق، إنّ اتجاه التفسير عند أبي يعقوب الوردجاني اتّجاه عقديّ يتناسب مع ميولاته الفكرية باعتباره أحد كبار متكلمي الإباضية ببلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

5. خاتمة:

لم يكن للفكر الإباضي، في العصر الوسيط، الإطار السياسي المناسب للبروز والنضج. إذ أنّ خفوت الاجتهاد الإباضي في مجال التفسير يعود إلى غياب العوامل المحفزة، خاصة السياسية منها. تلك التي كانت، بعد زوال دولتهم، في صالح التيارات المخالفة. وهو ما أدّى إلى انحسار أتباع المذهب في مناطق محدودة ببلاد المغرب.

بقدر ما انعكس تهيّب علماء الإباضية من التفسير سلبياً على إنتاجهم الفكريّ كان انعكاسه إيجابياً على الدراسات الأخرى مثل الدراسات العقدية والكلامية فكأنهم يعوّضون تهيّبهم من التفسير بالتأليف في العلوم القريبة منه. فمن مجموع ما ألف (46) مؤلفاً في مختلف فروع الدين نجد (03) بما يوافق (06.52%) تأليفاً صريحاً في التفسير، وهي نسبة ضعيفة جداً بالمقارنة مع بقية التأليف الأخرى، وإذا قارنا هذه النسبة بنسبة المؤلفات في أصول الدين وعلم الكلام نجد (16) بما يوافق (34.78%) تأليفاً صريحاً في علم الكلام مثلاً.

رغم أن تفسير هود بن محكم هو اختصار لتفسير يحيى بن سلام على أصول المذهب الإباضي، تظهر قيمته العلمية في حفظ تفسير ابن سلام كاملاً باعتبار أنّ تفسير ابن سلام لا تزال بعض ورقاته ناقصة. أمّا تفسير كل من عبد الرحمن بن رستم وأبي يعقوب الوردجاني فلو أنّه كتب لهما البقاء، لكان للتفاسير الإباضية شأن آخر غير الذي نعرفه. وتلك مشيئة الله. والله الموفق.

مال تفسير القرآن الكريم عند الإباضية إلى التفسير العقديّ تأقلاً مع الأوضاع الفكرية التي آلت إليها بلاد المغرب خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية واشتداد حدة الصراع المذهبيّ.

وقد تدارك علماء الإباضية المعاصرون هذا النقص العددي في كتب التفسير المتخصصة. فكان كتابا "هميان الزاد إلى دار المعاد" و"تيسير التفسير" للشيخ محمد بن يوسف اطفيش وتفسير آخر للشيخ إبراهيم بيّوض بعنوان "في رحاب القرآن".

الهوامش:

- ¹ - لم يتجاوز في مجموعها إلى يومنا هذا تسعة كتب بين إباضية المشرق والمغرب على أن بعضها ليس كاملا. ينظر، محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، د ت، ج 2، ص 232-233.
- ² - يعود ذلك في تقديرنا إلى تهمة "الخوارج" التي ظلت تلاحقهم طوال تاريخهم من طرف مخالفهم وإصرارهم على ذلك، رغم تبرئهم منها بشكل صريح في جميع كتبهم، ومن النماذج على ذلك: محمد بن رزق بن طرهوني: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1426هـ، ج 1، ص 804. حسن مسعود الطوير: جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني، دار قتيبة، بيروت، ط 1، 2001، ص 116-117، 190-191. محمد حسين الذهبي: المرجع السابق، مبحث الخوارج وموقفهم من تفسير القرآن كله. أحمد سليمان الأطرش: الإباضية وتأويل القرآن الكريم في القضايا العقديّة وموقف أهل السنة، مجلة العلوم الإسلامية الدوليّة، المجلد 1، العدد 3، 2017.
- ³ - يقدر عدد المخطوطات في واد ميزاب بالجزائر بأكثر من 8000 مخطوط حسب إحصاء سنة 1992، موزعة على 114 مكتبة، وهو عدد مرشح للارتفاع في السنوات اللاحقة باكتشاف مكتبات وخزائن جديدة، ينظر: زهير بابا واسماعيل: جهود حماية مخطوطات وادي ميزاب وقراءة وصفية لفهارسها، ص 96، مصطفى بن الحاج بكير حمودة: المخطوطات في منطقة وادي ميزاب، قيمته الحضارية والتاريخية من خلال مكتبة الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي، المجلة المغربية للمخطوطات، ع 1، 2004، ص 15.
- ⁴ - الفرد بيل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 94.
- ⁵ - عبد العزيز سالم: المغرب الكبير "العصر الإسلامي"، دار النهضة، بيروت، 1981، ج 2، ص 250.
- ⁶ - محمد بابا عتي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 2000، ج 2، ص 314.
- ⁷ - المالكي: رياض النفوس: تحقيق البشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، 1994، ج 1، ص 99-117. أبو العرب محمد بن أحمد: طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق علي الشابي، الدار التونسية للنشر، ط 2، 1985، ص 84.
- ⁸ - تزامن قدوم هؤلاء الدعاة في فترات زمنية متقاربة جدا، يمكن تحديدها بالعقود الأولى للقرن الثاني للهجرة بين سنتي (100-110هـ/718-728م)، ينظر: المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص 99-117. عبد المجيد بن حمدة: المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، مطبعة دار العرب، تونس، ط 1، 1986، ص 162. الفرد بل: المرجع السابق، ص 97.
- ⁹ - بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي، دار المدار، لبنان، ط 1، 2003، ص 193.
- ¹ - هي بعثة علمية تتكوّن من أربعة نفر: عبد الرحمن بن رستم، وعاصم السدراتي، وأبو داود القبلي النفازي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وانظم إليهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري اليميني، تلمذوا مباشرة على زعيم المذهب الإباضي بالبصرة أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ينظر، الدرجيني: طبقات المشائخ، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، د ت، ج 1، ص 19.
- ² - مع مطلع النصف الثاني من القرن الثاني الهجري فقدت بلاد المغرب الإسلامي انسجام وحدتها السياسية والمذهبية بنشوء دول ذات انتماءات سياسية مختلفة لكل منها مرجعيتها الفكرية، فتأسست الدولة الرستمية الإباضية بالمغرب الأوسط ودولة الأدارسة الزيدية الشيعية بالمغرب الأقصى ودولة الأغالبة بالمغرب الأدنى، ودولة بني مدرار الصفرية بجنوب المغرب، فأضحت بلاد المغرب فسيفاء من المجموعات السياسية والعقدية المختلفة. ينظر، علاوة عمارة: انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط، مجلة آفاق الثقافية، نشر جمعية الماجد، العدد 56، 2007، ص 26.
- ³ - إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب الإسلامي، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، ط 1، 2000، ج 2، ص 20.
- ⁴ - أبو زكرياء يحيى ابن سلام التميمي البصري القيرواني: ولد بالبصرة ونشأ بها ثم انتقل إلى القيروان واستقر بها وتوفي بمصر بعد عودته من رحلة الحج، صاحب التفسير المشهور وهو أقدم تفسير ببلاد المغرب الإسلامي وصل إلينا، ألفه صاحبه أثناء استقراره بالقيروان، وحسب تاريخ وفاة صاحبه نال السبق على تفسير الطبري (ت 310هـ) المشهور، ذاع صيته ببلاد المغرب والأندلس كلها وكان محل تقدير،

أنجزت حوله عدّة شروحات واختصارات أهمها تفسير هود بن محكم وتفسير أبي عبد الله محمد ابن زمين (399هـ/1009م). ينظر، المالكي: رياض النفوس، ص188-192. أبو العرب: طبقات علماء إفريقية وتونس، ص112. محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مصر، 1970، ص24-28.

⁵ - تختلف المصادر في نسبة سليمان بن حفص الفراء (أبو حفص) بين الإباضية والمعتزلة فالشماخي والوسياتي يعتبرانه إباضي إلا أنه خالف الإباضية في بعض المسائل، قال الشماخي في سيق حديثه عن أحمد بن الحسين وبراءة الإباضية منه "وكلمهم إباضية إلا أحمد بن الحسين" وكلهم تعود على سليمان بن حفص الفراء وأفلح بن عبد الوهاب الرستمي، وقال الوسياتي في الشأن نفسه "وكان أحمد بن الحسين وأبو حفص لو لم يكن إلا واحد منهم لتبعته المذاهب، وقد أعطى الله أفلح ما لم يعطهم، وأما الفراء فرجل عالم مخالف من أهل القيروان ودّعوا أنه رجع إلى أهل الحق" أي إلى المذهب الإباضي، هذا ونجد نسبته إلى المعتزلة صريحة عند كتاب الطبقات المالكية كأبي العرب والمالكي والخشني، مرد هذا الاختلاف إلى التشابه الكبير بين الإباضية والمعتزلة في المسائل الكلامية، وقد كانت له مناظرات مع محمد بن سحنون، ينظر: الوسياتي أبو الربيع سليمان بن عبد السلام: سير، تحقيق محمد حسن، دار المدار، ط1، 2009، ج2، ص415. المالكي: رياض النفوس، ج1، ص182، أبو العرب: طبقات علماء إفريقية وتونس، ص164-165.

⁶ - هو القاضي النعمان ابن أبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن حيون (ت363هـ/973م) مؤرخ الدولة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية وفقها الأول، كان مالكي المذهب ثم تحول إلى مذهب الشيعة ترك العديد من الكتب تخدم كلها مذهب الشيعة، ينظر، الداعي عماد الدين إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تحقيق محمد يعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1985، ص556-490-569.

⁷ - أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية، تحقيق حمزة بومعقل، دار الخلدونية، ط1، 2017، ص357-358. إلا أن كفرهم كفر نفاق لا كفر شرك، وهو حكم جماعي بين كل الفرق الإباضية ما عدى الحسينية والعمرية الذين ذهبوا إلى أن المتأول في صفات الله كافر مشرك والمتأول فيما دون ذلك كافر منافق، ينظر كذلك المبروك المنصوري: الفكر العقدي وأسس سيادة الإسلام، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2011، ص330.

⁸ - أبو يعقوب الوردجاني: الدليل والبرهان، تحقيق سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث والثقافة العمانية، ط2، 2006، ج2، ص81. أبو عمار عبد الكافي: الموجز، تحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة، 2013، ج1، 422. بيير كوبرلي: مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، مكتبة الضامري للنشر، سلطنة عمان، ط1، 2010، ص237، 445.

⁹ - فرحات الجعبري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، نشر جمعية التراث، غرداية، 1987، ج1، ص274.

¹⁰ - هود بن محكم: تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، مقدمة التحقيق، ص34. التفسير والمفسرون، ج2، ص234.

¹¹ - هو الشيخ أبو النيهان جاعد بن خميس (ت1237هـ/1821م) من علماء الإباضية بالمشرق له مؤلفات كثيرة منها "الدقائق في دق أعناق أهل النفاق" وكتاب الطهارات" و"مقاليد التنزيل" وهو في التفسير حققه كهلان الخروصي من علماء عمان المعاصرين، بقي من هذا التفسير تفسير سورة الفاتحة فقط، ينظر: محمد صالح ناصر وآخرون: معجم أعلام الإباضية-قسم المشرق- ص82-83. محمد بن خلفان الصقري: دراسة في مؤلفات أبي النيهان، ضمن أعمال ندوة قراءات في فكر أبي النيهان المنعقدة 14-16 ديسمبر 1996، ص66.

¹² - وهو عبارة عن دروس مسجلة بالمسجد الجامع بمدينة القارة بولاية غرداية، طبعت فيما بعد تحت عنوان "في رحاب القرآن".

¹³ - أحمد الشرباصي: قصة التفسير، دار القلم، القاهرة، د ط، 1962، ص30. جولد تسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، مصر، 1955، ص70-75.

¹⁴ - ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983، ج1، ص163-164، ص187. الشماخي: السير، ج2، ص390، محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخواص ببلاد المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1985، ص235-236.

¹⁵ - موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، مكتبة المعصومة بتمهت، هل أحرقت؟ أو نقلت عيونها إلى سدراته في جوار ورجلان؟ مجلة الأصالة، العدد41، 1977، ص16. محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص16، 232.

¹⁶ - درجين: نسبة إلى قبيلة بربرية وهبية، وهي آخر البلاد الجريدية، مدينة قديمة غرب مدينة نفطة، وهي إحدى قواعد المذهب الإباضي ببلاد الجريد قبل القرن الخامس الهجري، فقد كانت مركز إداري جهوي للدولة الرسمية في القرن(3هـ/9م)، وملجأ للفارين إليها من مناطق تشاركت معها في الانتماء المذهبي بعد سقوط الدولة الرسمية خاصة من جبل نفوسة، وبقيّة مناطق الإباضية الأخرى بفعل

- المضايقات السياسية أو الأزمات الاقتصادية ينظر، محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص236. الشماخي: السير، ج3، ص852.
- ¹⁷ - ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص276. الشماخي: السير، ج2، ص588، 670. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص407.
- ¹⁸ - علاوة عمارة: الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد10، 2009، ص12-13، 25.
- ¹⁹ - عبد الرحمن بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة و سهيل زكار، دار الفكر، ط1، 2000، ج7، ص98. الشماخي: كتاب السير، ج2، ص643.
- ²⁰ - يستثنى من هذه الحالة فترة ازدهار نشاط حلقة العزابة بوجرجان ما بين القرنين الخامس والسادس الهجري.
- ²¹ - البرادي: الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتب الطبقات، طبعة حجرية، ص221.
- ²² - أبو زكريا الوريثاني: سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982، ص198-199. أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي: رسالة في فرق النكار الست وما زاعت به عن الحق، تحقيق عامر ونيس، نص مرقون، المكتبة البارونية، 2001، ص59، 62، 118.
- ²³ - الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص149، أبو زكريا: سير الأئمة، ص240-241، الشماخي: السير، ج2، ص538.
- ²⁴ - الشماخي: السير، ج2، ص524. أبو زكريا: سير الأئمة، ص206-207.
- ²⁵ - الشماخي: السير، ج1، ص145.
- ²⁶ - الشماخي: السير، ج2، ص539.
- ²⁷ - عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى، مؤسس الدولة الرستمية ببلاد المغرب (حكم ما بين: 160-171هـ/777-788م) ولد بالعراق يعود أصله إلى الفرس سافر مع أبيه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وهناك توفي والده فتزوجت أمه من مغربي، أحضرهما إلى القيروان وفيها تعلم، وكان الحال أن صادف الدعوة الإباضية هناك، ثم سافر إلى المشرق ليتعلم عنها أكثر، ولما عاد إلى بلاد المغرب عين قاضيا على القيروان في دولة أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري (140-145هـ/757-762م)، وبعد سقوط دولة أبي الخطاب اتجه شرقا صوب تهرت معلنا ميلاد دولة جديدة هي الدولة الرستمية، من أهم آثاره كتاب في التفسير، ينظر، معجم أعلام الإباضية- قسم المغرب- ج2، ص247-248.
- ²⁸ - البرادي: رسالة المؤلفات، تحقيق عمار طالي، ص10.
- ²⁹ - الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص94-95.
- ³⁰ - حسن حافظي علوي: مراجعات حول الصراع السني الإباضي ببلاد المغرب، ضمن كتاب الصراع المذهبي ببلاد المغرب، ص88-97. إبراهيم بحاز: مشوّهات الإباضية (نظرة من الداخل والخارج)، مجلة الحياة، العدد05، 2001، كله.
- ³¹ - هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناصر بن مبال بن يوسف وزير الإمام أفلح بن عبد الوهاب (432-528هـ/1040-1133م) فقيه إباضي اشتهر ببراعته في التفسير، عاش متنقلا بين مواطن الإباضية أربغ والزاب ووغلانة، تخرج عليه علماء منهم أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني صاحب كتاب السير، ينظر، الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص470، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص273.
- ³² - الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص471.
- ³³ - أستاذ التعليم العالي بجامعة الحاج لخضر- باتنة1- من المهتمين بتاريخ الإباضية ببلاد المغرب الإسلامي، أحيل على التقاعد مؤخرا وفي حديث معه على هامش الملتقى الوطني حول نظام العزابة نشأته ودوره الحضاري في بلاد المغرب المنعقد بجامعة غرداية يومي17-18 جمادى الثانية1441هـ/11-12 فيفري2020، سألته عن المخطوطات الإباضية ومن جملتها تفسير عبد الرحمن بن رستم، فقال لي: إنه عاين بعض ورقاته. وأضاف إنه أبلغ الجهات الرسمية بذلك، ولكن للأسف لم يظهر لهذا التفسير وجود إلى يومنا هذا.
- ³⁴ - من علماء الطبقة السادسة (250-300هـ)، لا يعرف على التحقيق تاريخ مولده ووفاته، معلوماتنا عنه قليلة جدا فلا نكاد نعرف منها إلا قبيلته واسم أبيه الذي كان قاضيا للإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب (ت258هـ/871م)، أما عن نشأته العلمية وأساتذته وتلاميذه لم تذكر المصادر التي بين أيدينا شيئا عنها، اشتهر بمؤلفه "تفسير كتاب الله العزيز" وحسب المعلومات القليلة التي وصلتنا فقد كان محط أنظار المتعلمين قال عنه الشماخي "عالم متفّن". ينظر، الدرجيني: ج2، ص345، 398. الشماخي: كتاب السير، ج2، ص566. معجم أعلام الإباضية- قسم المغرب- ج2، ص443.

- ³⁵ - البرادي: الجواهر المنتقاة، ص 219.
- ³⁶ - الشماخي: كتاب السير، ج 2، ص 566.
- ³⁷ - ، هود بن محكم: تفسير كتاب الله العزيز، مقدمة التحقيق، ص 24.
- ³⁸ - هود بن محكم: نفسه، ج 1، ص 85.
- ³⁹ - الدرجيني: طبقات المشائخ، ج 2، ص 445. الشماخي: السير، ج 2، ص 617-618.
- ⁴⁰ - أفرد لوأب بن سلام الإباضي (ت بعد 273هـ/887م) بابا في كتابه "بدء الإسلام وشرائع" سماه "تسمية فقهاء أصحابنا وعلمائهم ومشايخهم وذرائعهم بمدينة القيروان وحوالها، تحدث فيه عن أحوالهم العلمية والاقتصادية، ينظر، ابن سلام الإباضي (بعد 283هـ/896م): بدء الإسلام وشرائع الدين، تحقيق ف. شفارتز وسالم بن يعقوب، النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية، 1986، ص 132-135.
- ⁴¹ - هود بن محكم: تفسير كتاب الله العزيز، ج 1، ص 5. من مقدمة التحقيق.
- ⁴² - وضع الشيخ أبي ستة محمد بن عمر المعروف بالمحشي (ت 1088هـ/1677م) حاشية على تفسير هود بن محكم وقد وصل في التعليق إلى الآية 238 من سورة البقرة في قوله تعالى [حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ]، وللأسف حتى هذه الحاشية مفقودة، ينظر: مصطفى بن دريسو: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث هجري، ص 517. هود بن محكم: المصدر السابق، ص 21 من مقدمة التحقيق.
- ⁴³ - عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2002، ص 225، 143.
- ⁴⁴ - حسن مسعود الطوير: المرجع السابق، ص 51-52.
- ⁴⁵ - حسن مسعود الطوير: المرجع السابق، ص 51.
- ⁴⁶ - عبد السلام بن سعيد الملقب بسُحنون: انتهت إليه الرئاسة في العلم ببلاد الغرب، شامي الأصل قيرواني المولد اشتهر بشجاعته في الحق، تولى القضاء للأغالبة سنة (234هـ/884م)، تجمع المصادر على دوره في تثبيت وغلبة المذهب المالكي على المذاهب الأخرى، له ترجمات وافية وطويلة في كتب التراجم المالكية، من أهم آثاره كتاب "المدة" وهو في الفقه المالكي. ينظر، القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك في لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998، ج 1، ص 339-362. المالكي: رياض النفوس، 345-375.
- ⁴⁷ - القاضي عياض: المصدر نفسه، ج 1، ص 347-348.
- ⁴⁸ - أبو اليقظان محمد بن أفلح (حكم ما بين: 261-281هـ/874-894م) الإمام الخامس للدولة الرستمية.
- ⁴⁹ - المبروك المنصوري، الفكر العقدي وأسس سيادة الإسلام، الدار المتوسطة للنشر، ط 1، 2011، ص 148.
- ⁵⁰ - ينظر نص الرسالة كاملة في كتاب البرادي: الجواهر المنتقاة، ص 183.
- ⁵¹ - هود بن محكم: تفسير كتاب الله العزيز: ج 1، ص 71.
- ⁵² - هود بن محكم: نفسه، مقدمة التحقيق، ص 37. مصطفى بن دريسو: المرجع السابق، ص 171. زغيشي سعاد: منيح هود بن محكم الهواري في التفسير، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة 1، قسم أصول الدين، 2006/2007، ص 58.
- ⁵³ - والأمثلة على ذلك كثيرة في تفسيره، انظر مثلاً في مسألة خلق القرآن، ج 4 من التفسير، ص 107. ومسألة الإيمان (قول وعمل) والنفاق، ج 2، ص 385، 413-414. وإن كان هود بن محكم لم يتعرض في تفسيره إلى بعض القضايا العقدية التي تميز الإباضية عن غيرها مثل مسألة الرؤية ومسألة الصفات في حين فصل في مسائل أخرى مثل المسائل السابقة الذكر، وهي ملاحظ جديرة بالاهتمام أشار إليها الباحث مصطفى بن دريسو في كتابه "الفكر العقدي عند الإباضية"، وتعليل ذلك في اعتقادي أنّ المسائل العقدية لم تكن قوالب جاهزة يمكن الرجوع إليها متى احتيج إلى ذلك، بل على العكس من ذلك إذ نجد علماء الإباضية ما فتئوا يغيرون من مواضيع البحث وأساليب الرد حسب الحاجة، تأقلموا مع ما يستجد على الساحة الفكرية والسياسية وما يطغى عليها من محاور الاهتمام، فيكون لكل مقام مقال. حسب الزمان والمكان فقد كان القرن الثالث الهجري لمقالة خلق القرآن والرابع للصفات والخامس لمقالة الرؤية وهكذا، وتعبّر مراحل تطور الفكر العقدي الإباضي عن هذه الخاصية. ينظر، مصطفى بن دريسو: المرجع السابق، ص 175.
- ⁵⁴ - مثال ذلك الآية [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ] [الآية 59 سورة النساء] لم يشر المفسر إلى موقف الإباضية من الإمامة، ينظر، إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج 2، ص 38-39.

- ⁵⁵ - هود بن محكم: المصدر السابق، مقدّمة التحقيق، ص37. سامي محمود محمّد: منهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسير كتاب الله العزيز، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، كليّة أصول الدين، 2002، ص83.
- ⁵⁶ - الشماخي: كتاب السير، ج2، ص566.
- ⁵⁷ - أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني ط12 (550-600/1155-1203م): ولد بورجلان وإليها نسب من أبرز علماء الإباضية بالمغرب الإسلامي عرف بكثرة رحلاته وكثافة نشاطه العلمي، ومن ذلك رحلته إلى الأندلس وبلاد السودان وبلاد الحجاز، من أهم مؤلفاته كتاب **الدليل والبرهان**، وله كتاب آخر **كتاب العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف** وهو كتاب في أصول الفقه، إضافة إلى ذلك عمد إلى جمع وترتيب مسند الربيع بن حبيب (ت170هـ/786م) المرجع الأول للإباضية في الحديث على أبواب، وزاد فيه روايات جديدة وأطلق عليه اسم **الجامع الصحيح** وهو المتداول حاليا، محمد بابا عي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب الإسلامي، ص481-483.
- ⁵⁸ - البرادي: الجواهر المنتقاة، ص220.
- ⁵⁹ - الشماخي: كتاب السير، ج2، ص641-644.
- ⁶⁰ - الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص491-495.
- ⁶¹ - إبراهيم اطفيش: الدعاية إلى سبيل المؤمنين، المطبعة السلفية، د ط، 1923، ص27. مصطفى باجو: أبو يعقوب الورجلاني أصوليًا، وزارة التراث والثقافة العمانيّة، ط2، 2007، ص150.
- ⁶² - البرادي: الجواهر المنتقاة، ص221. وتذكر عدّة مراجع نقلا عن الشيخ أبي اليقظان والشيخ عبد الرحمن الجيلالي أنّ هذا الجزء موجود بإحدى خزانة روما، أمّا في رواية المستشرق يوسف شاخنت المهتم بالتراث الإباضي فهو موجود بإحدى مكتبات ألمانيا، إلا أنّ الجهود المبذولة للعثور عليه لم تفض إلى شيء. ينظر: مصطفى باجو: المرجع السابق، ص150.
- ⁶³ - مصطفى بن دريسو: المرجع السابق، ص186، 194. محمّد ناصر بوحجام: التواصل الحضاري بين عمان والجزائر، ص57-58.
- ⁶⁴ - أبو يعقوب يوسف الورجلاني: الدليل والبرهان، ج2، ص81. يبيّن المقصود منها من خلال تشبه القرآن بالشجرة جذورها وهي الأصول: المكي والمدني، الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه، الظاهر والباطن، العام والخاص. أمّا الأعضاء فهي: المجمل والمفسر، المطلق والمقيّد، المقطوع والموصول، المقدم والمؤخر، الكناية والصريح، وأمّا الأغصان فهي: الحدود ولحن الخطاب، وفحوى الخطاب، ودليل الخطاب ومعنى الخطاب والأسماء الذاتية لله وأسماء الأبدان وأسماء الأفعال. وأمّا ثمار هذه الشجرة فهي: الأمر والنهي، الخير والاستخبار، الوعد والوعيد، المواعظ والأمثال، والإعذار والإنذار. ينظر، أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج2، ص81-82. وفصل هذه الأحكام على أبواب في كتابه "العدل والإنصاف" وعلى سبيل المثال باب الظاهر والباطن والمحكم والمتشابه، باب الناسخ والمنسوخ. ينظر: أبو يعقوب الورجلاني: العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف، دار نوبار، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1984.
- ⁶⁵ - أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج2، ص81.
- ⁶⁶ - البرادي: الجواهر المنتقاة، ص220.
- ⁶⁷ - البرادي: الجواهر المنتقاة، ص220-221.